(٩١) سورة الشمس

فى رحاب السورة الكريمة

سورة عظيمة مكية آياتها خمس عشرة نزلت بعد سورة القدر تناولت موضوعين أساسيين هما:

- موضوع النفس الإنسانية وما جبلت عليه من الخير والشر.
- موضوع الطغيان ممثلا فى ثمود الذين عقروا الناقة فأهلكهم الله ودمرهم.

بدأت السورة الكريمة بالقسم بسبعة أشياء من مخلوقات الله جل وعلا فأقسم تعالى بالشمس وضوئها الساطع وبالقمر وبالنهار وبالليل ثم ذكر تعالى قصة ثمود "قوم صالح حين كذبوا رسولهم فطغوا وبغوا فى الأرض وعقروا الناقة فأهلكهم الله عز وجل لطغيانهم وسميت السورة الكريمة بالشمس لأنه عز وجل أقسم بالشمس وضحاها فى أول السورة بيانا لقدرته وعظمته فى إيجاد هذا الكون العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا ۝ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝ وَلَا يَخَافُ عُقْبَىٰهَا ۝ ﴾

معانى المفردات:

ضحاها: ضوؤها إذا أشرقت	تلاها: تبعها فى الإضاءة
جلاها: أظهر الشمس للرائين	يغشاها: يغطيها بظلمته

طحاها: بسطها ووطأها	سواها: عدل أعضاءها وقواها
فجورها وتقواها: معصيتها وطاعتها	قد أفلح: فاز بالغنيمة
من زكاها: طهرها وأتمها بالتقوى	قد خاب: قد خسر
من دساها: نقصها وأخفاها بالفجور	طغواها: طغيانها وعدوانها
انبعث أشقاها: قام مسرعا لعقر الناقة	ناقة الله: احذروا عقرها
سقياها: نصيبها من الماء	فدمدم عليهم: أطلق العذاب عليهم
فسواها: عمهم بالدمدمة والإهلاك	عقباها: عاقبة هذه العقوبة

التفسير:

﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ يقسم الله عز وجل بالشمس وضوئها الساطع إذا أنار الكون وبدد الظلام ﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾ ويقسم الله تعالى كذلك بالقمر إذا سطع مضيئا، وتبع الشمس طالعا بعد غروبها، قال المفسرون وذلك فى النصف الأول من الشهر، إذا غربت الشمس تلاها القمر فى الإضاءة وخلفها فى النور وكلمة القسم بالشمس أن العالم فى وقت غياب الشمس عنهم كالأموات، فإذا ظهر الصبح وبزغت الشمس دبت فيهم الحياة وصار الأموات أحياء فانتشروا لأعمالهم وقت الضحوة، وهذه الحالة تشبه أحوال القيامة ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴾ أى وأقسم بالنهار إذا جلا ظلمة الليل بضيائه، فكشفها بنوره، قال ابن كثير: إذا جلا البسيطة وأضاء الكون بنوره[1] ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴾ أى ويقسم الله تعالى أيضا بالليل إذا غطى الكون بظلامه، ولفه بشبحه فالنهار يجلى المعمورة ويطهرها، والليل يغطيها ويسترها، قال الصاوى: وأتى بالفعل المضارع "يغشاها" ولم يقل "غشيها" مراعاة للتواصل[2] ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ ويقسم الله تعالى كذلك بالقادر العظيم الذى بنى السماء وأحكم بناءها بلا عمد قال المفسرون: "ما" اسم موصول بمعنى "من" أى والسماء ومن بناها والمراد به الله رب العالمين، بدليل قوله بعده ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ كأنه قال والقادر العظيم الشأن الذى بناها فدل بناؤها وإحكامها على وجوده وكمال قدرته ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا

---

(١) مختصر ابن كثير ٣/٦٤٤.

(٢) حاشية الصاوى على الجلالين ٤/٣٢١.

طَحَنَهَا ﴾كذلك يقسم الله عز وجل بالأرض ومن بسطها من كل جانب، وجعلها ممتدة ممهدة، وصالحة لسكان الإنسان والحيوان وهذا لا ينافى كرويتها كما قال المفسرون، لأن الغرض من الآية الامتنان بجعل الأرض ممتدة واسعة، ميسرة للزراعة والفلاحة وسكن الإنسان[1] ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ أى وأقسم بالنفس البشرية والذى أنشأها وأبدعها وجعلها مستعدة لكمالها وذلك بتعديل أعضائها وقواها الظاهرة والباطنة ومن تمام تسويتها أن وهبها العقل الذى به تميز بين الخير والشر والتقوى والفجور ولهذا قال ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ والمعنى عرفها الله عز وجل الفجور والتقوى وما تميز به بين رشدها وضلالها قال ابن عباس: بين لها الخير والشر والطاعة والمعصية وعرفها ما تأتى وما تتقى قال المفسرون أقسم الله سبحانه بسبعة أشياء "الشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض والنفس البريئة"[2] ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ هذا هو جواب القسم أى لقد فاز وأفلح من زكى نفسه لطاعة الله وطهَّرها من دنس المعاصى والآثام ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ أى وقد خسر وخاب من حقر نفسه بالكفر والمعاصى وأوردها موارد الهلكة ثم ضرب الله عز وجل مثلا لمن طغى ولم يطهر نفسه من دنس الكفر والعصيان فذكر ثمود قوم صالح فقال سبحانه ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴾ أى كذبت نبيها لسبب طغيانها ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴾ أى حين انطلق اشقى القوم بسرعة ونشاط ليعقر الناقة قال ابن كثير اسمه "قدار بن سالف" الذى قال الله فيه "فنادوا أصحابهم فتعاطى فعقر وكان عزيزا شريفا فى قومه ورئيسا مطاعا فيهم وهو أشقى القبيلة"[3] ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ أى فقال لهم نبى الله صالح عليه السلام ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴾ أى احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء واحذروا أيضا أن تمنعوها من سقياها أى شرابها ونصيبها من الماء كما قال تعالى "لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾ أى فكذبوا نبيهم صالحا وقتلوا الناقة، ولم يلتفتوا إلى تحذيره ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ ﴾ أى فأهلكهم الله تعالى ودمرهم عن آخرهم بسبب إجرامهم وطغيانهم، والدمدمة هلاك باستئصال

---

(١) انظر أقوال المفسرين فى إثبات كروية الأرض فى سورة لقمان.

(٢) صفوة التفاسير للأستاذ محمد على الصابونى ص ١٧٣١.

(٣) مختصر ابن كثير ٣/٦٤٥.

والمعنى أطبق عليهم العذاب فلم يفلت منهم أحد ﴿ فَسَوَّىٰهَا ﴾ أى فسوى بين القبيلة فى العذاب فلم يفلت منهم أحد لا صغير ولا كبير ولا غنى ولا فقير ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾ أى لا يخاف الله تعالى عاقبة إهلاكهم وتدميرهم كما يخاف الملوك والرؤساء عاقبة ما يفعلون لأنه سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل[1].

الإعراب:

وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا	الواو حرف قسم وجر الشمس مقسم به مجرور والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف وضحاها عطف على الشمس والهاء ضمير مبنى فى محل جر بالإضافة.
وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا	والقمر معطوف أيضا على الشمس مجرور إذا لمجرد الظرفية متعلقة بعفل القسم المحذوف، وجملة تلاها الفعلية فى محل جر بالإضافة للظرف.
وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا	الجملتان معطوفتان على ما تقدم وبنفس الاعراب.
وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا	عطف أيضا على ما تقدم "وما" فى الجمل الثلاث مصدرية أو بمعنى من وهى معطوفة على الاسم قبلها أو المصدر المنسبك منها ومن الفعل معطوف عليه[2].
وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا	معطوف أيضا على ما تقدم والتنكير فى نفس الإرادة الجنس كأنه قال وواحدة من النفوس.
فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا	الفاء عاطفة ألهمها فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هو يعود على الله عز وجل والهاء ضمير فى محل نصب مفعول به أول فجورها مفعول به ثان منصوب وتقواها عطف على فجورها منصوب.

(١) صفوة التفاسير للأستاذ الصابونى ص ١٧٣٢.

(٣) إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحى الدين الدرويش المجلد العاشر ص ٤٩٦.

قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا	قد حرف تحقيق مبنى على السكون، أفلح فعل ماض مبنى على الفتح من اسم موصول مبنى فى محل رفع فاعل زكاها فعل ماض مبنى والهاء فى محل نصب مفعول به والفاعل مستتر والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.
وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا	الجملة معطوفة على ما سبق وينفس الإعراب.
كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ	كذبت فعل ماض مبنى والتاء للتأنيث، ثمود فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة بطغواها جار ومجرور والضمير فى محل جر بالإضافة والجار والمجرور متعلقان بكذبت.
إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا	إذا ظرف للزمن الماضى انبعث فعل ماض مبنى أشقاها فاعل مرفوع بضمة مقدرة والهاء فى محل جر بالإضافة وجملة انبعث فى محل جر بالإضافة للظرف.
فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا	الفاء عاطفة، قال فعل ماض مبنى لهم جار ومجرور متعلقان بقال رسول فاعل مرفوع ولفظ الجلالة مضاف إليه، ناقة مفعول به منصوب لفعل محذوف تقديره احذروا الله مضاف إليه وسقياها عطف على ناقة الله.
فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَىٰهَا	الفاء عاطفة، كذبوه فعل وفاعل ومفعول، فعقروها عطف على فكذبوه فدمدم عطف أيضا، عليهم جار ومجرور متعلقان بدمدم ربهم فاعل بذنبهم جار ومجرور متعلقان بدمدم أيضا والباء سببية ذنبهم اسم مجرور فسواها عطف على دمدم ولا الواو عاطفة يخاف مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر يعود على الله عز وجل، عقباها مفعول به منصوب والهاء ضمير فى محل جر بالإضافة.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على الكثير من صور البيان والبديع نذكر منها :

- الطباق بين الشمس والقمر وبين النهار والليل وبين فجورها وتقواها والطباق يزيد المعنى وضوحا وجمالا.
- المقابلة بين النهار إذا جلاّها ، والليل إذا يغشاها وبين قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دسّاها.
- الإضافة للتكريم والتشريف فى قوله تعالى "ناقة الله" حيث نسبت إلى الله عز وجل تشريفا لأنها خرجت من حجر أصم معجزة لسيدنا صالح عليه السلام.
- التهويل والتفظيع فى قوله تعالى "فدمدم عليهم ربهم بذنبهم" فإن التعبير بالدمدمة يدل على شدة وهول العذاب.
- السجع الجميل غير المتكلف فى السورة بأكملها.